تاريخ مدينة البصرة

د. قاسم جواد خلف الجيزاني
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية

المقدمـــة

((اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي تنشرح به الصدور وتهون بـــه الأمور وعلى آله وصحبه وسلم)) .

كان للبصرة أثر مهم في حياة شبهف الجزيرة العربية قبل الاسلام مثلما كان لدولة المناذرة والغساسنة دوراً في علاقتهما مع الامبراطورية البيزنطية والساسانية ، فقد كانت غارات مجموعة من الاعراب في صحرائهم المجاورة والمتصـــلة بـــالقرى والحاميـــات الفارسية في المنطقة ، فقد اخذت شكلاً منظماً بعد الانتصار الكبير الذي حققه العرب في موقعة (ذي قار) حوالي عام (611م) حين هزموا القوات الساسانية في ميدان المعركة واخذوا يغيرون على الاطراف الغربية من امبراطوريتهم وما ان تضخم عداد المحاربين ومن انضم اليهم من رجال القبائل حتى بدأ التفكير في اقامة مصر دائم لتلبيـــة حاجـــات المحاربين المتزايدة وتنظيم امورهم .

شهد القرن الأول الهجري من التاريخ العربي الاسلامي احداثاً مهمة يـــأتي فـــي مقدمتها تمركز المسلمين وزيادة نفوذهم واتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية، وامام هذه الاحداث اندفع المسلمون خارج الجزيرة العربية ، وكان لزاماً عليهم ان يثبتوا صحة دينهم وجدارة ادارتهم عن طريق القدرة العسكرية ، وصحة المبادئ الجديدة ، وقد تطلبت اعمال الفتوح والتحرير وحماية الدولة ومصالح الناس تأسيس العديد مـــن المـــدن ذات الطـــابع العسكري ، وكانت البصرة احدى هذه المدن .

وسنبدأ بالحديث عن هذا المصر الذي تأسس خارج الجزيزرة العربية وعلى شكل ثلاث مباحث ، تضمن المبحث الأول عوامل تاسيس مدينة البصرة واختيار الموضـــع ، والمبحث الثاني تكلمت فيه عن تسمية البصرة وتاريخ تمصـــيرها ، والمبحـــث الثالـــث تطرقت فيه عن الحياة الفكرية لمدينة البصرة واهم المراكز الثقافية لهذه المدينة .

ثم ختمت هذا البحث بخاتمة بينت فيها اهم النتائج المترتبة لبناء وتأسيس هذه المدينة ، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة لكتابة هذا البحث ، وبالرغم من الجهد الذي بذلته في اعداد هذا البحث ، فأني لا أدعي الكمال فيما كتبته ، لان الكمال لله وحده ، وفوق كل ذي علم عليم .

المبحث الأول

عوامل تأسيس مدينة البصرة

لقد دعا استمرار حركات التحرير واتساعها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى التفكير في ايجاد مقرات دائمة لاستقرار الجند المقاتلة الذين كانوا يخوضون المعارك في جبهات العراق والشام ومصر ، حيث يروى ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما قرر اتخاذ هذه القواعد قال: " مصروها ... ولا تتخذوا بيني وبينكم ماء"[1].

ذكر ابن قتيبة [2] ان الامصار لا تبنى الا على ثلاثة اشياء : " الماء ، والكلأ ، والمحتطب " ، وهذا معناه يجب توفر واختيار افضل ناحية في البلاد ، وأفضل مكان في الناحية ، واعلى منزل في المكان من السواحل والجبال ، ومهب الشمال ، لانها تفيد صحة الابدان ، وحسن الامزجة ، والاحتراز عن الآجام والجزائر ، واعماق الأرض فانها تورث كرباً وهرماً [3] ، لهذا كتب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى سعد بن ابي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عتبة بن غزوان وهو بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو بالاسكندرية : " لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم عليكم قدمت " [4] .

---

[1] ابن عبد الحكم : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ) فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر (ط1 ، لجنة البيان العربي ، 1977م) ، ص 132 .
اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب (ت 284هـ) البلدان ، نشرة دي غوية ، (ط1 ، ليدن ، 1892م) ص 331 .

[2] ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ) عيون الاخبار (ط1 ، دار الكتب المصرية ، 1925م) ج2 / 213 .

[3] القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت 283هـ) اثار البلاد واخبار العباد) (ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1960م) ص 8 .

[4] ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 133 .

كما كتب اليهم : " لا تصلح العرب الا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين منزلاً " [1]. لهذا كانت هناك عوامل ودوافع في اتخاذ هذه القواعد منها ان تكون على الأطراف الشمالية من شبه جزيرة العرب لما في ذلك من اهمية كبيرة أي ان تكون على طريق بري يتصل بالجزيرة العربية ، كما اشترط ان يكون مناخ هذه القواعد جاف يلائم الإبل.

وبما ان هذه الامصار هي قواعد واستقرار رئيسة يقيم بينها العدد الاكبر من المقاتلة مع عيالاتهم يجب ان تجمع بين (السمة العسكرية والمدنية) أي ان تتوفر فيها الهيئة الاجتماعية التي يتوقف عليها المطعم والملبس لانها ستصبح اماكن استقرار [2].

يبدو ان هدف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يدور حول محور واحد ، هو ان يكون من العرب المسلمين امة عسكرية هدفها الأول الجهاد في سبيل الله ، لذلك امر الخليفة قواده ان لا تسكن الجيوش العربية الاسلامية المدن المحررة ، وانما اراد ان تسكن معسكرات او مقرات تكون قواعد انطلاق للجيوش لمواصلة عمليات التحرير ، ومركز لتموين ساحات القتال بالجند والمؤن ، وحدد واجبات تلك الامصار بالقول : " يكفون ثغورهم ويمدون أهل الامصار " [3].

اخذ العامل العسكري اهمية خاصة الذي من اجله انشأ العرب المدن وأنعكست هذه الأهمية على الاهتمام باختيار اكثر المواضع والمواقع التي توفر اعلى نسبة من ميزات الدفاع ولاهمية الموضع والموقع بالنسبة للامصار الاسلامية ، فلابد التعريف بهذين المصطلحين ، فالموضع هو المكان او الحيز الذي انشأت المدينة فوقه ، وتطورت عليه على مدى عمرها وتشمل عناصر الموضع تربته ومناخه ، وتضاريسه ، ومصادر الحياة فيه [1]. اما الموقع فله صلة بالموضع من حيث كونه بحرياً او برياً او نهرياً ومن حيث وسائل النقل وسهولة المواصلات [2].

---

[1] الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) تاريخ الرسل والملوك ، (ط1 ، القاهرة ، 1963م) ج3 / 579 . ابن الجوزي : جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق سهيل زكار (بيروت ، د.ت) ج3 / 134 .

[2] العلي : صالح احمد ، الامصار الاسلامية في العراق (بغداد ، 1988م) ج2 / 30 .

[3] الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 579 .

[1] الاشعب : خالص ، المدينة والتحضر (بغداد ، 1985م) ج5 / 157 .

[2] الاشعب : المصدر نفسه ، ج5 / 158 .

أذن بدأت هذه الامصار كمعسكرات قريبة من سوح القتال ، وسرعان ما اجتذبت اليها الوظائف الأخرى حيث اصبحت قواعد استقرار للجنود وعوائلهم [3]، وبهذا تحققت رغبة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الحفاظ على مقومات الأمة وروحها الجهادية وادراكاً منه بأن الجند محاربين وسوف يبقون كذلك لإيصال الدين الجديد إلى أوسع رقعة جغرافية ممكنة ، لهذا فضل ابقائهم في اماكن عسكرية بحتة لكي يشعروا انهم دائماً مجاهدين [4].

ونظراً لأهمية الباعث العسكري والذي كان سبباً وعاملاً مهماً في بناء مدينة البصرة لكي يتخذ منها العرب المجاهدون قاعدة لاسناد وجودهم في هذه المنطقة ، ثم الانطلاقة منها الى المناطق الشرقية التي تتواجد فيها القوات الفارسية، وتمكين القوات العربية ان تتخذ لها مواقع في العراق تمهيداً لتفتيت القوات الفارسية [5].

لم يات اختياره موقع وموضع البصرة عشوائياً ، او بصورة غير مدروسة بل استخدم العرب المسلمين ، اسلوب المسح الميداني الدقيق من خلال حركة الجند في حروبهم التي خاضوها لتحرير جنوب وشرق العراق [6]. ومن المؤكد ان العرب قد عرفوا منطقة البصرة قبل تمصيرها ، اذ ان هناك حملات عسكرية كانت على منطقة (الخريبة) قرب البصرة قبل ان يشرع عتبة بن غزوان بنزولها ، فيذكر الطبري [1] : ان قطبه بن قتادة السدوسي كان يغير من ناحية الخريبة من البصرة على العجم ، فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعلمه مكانه ، ويطلب المدد ، فكتب اليه الخليفة : لقد اصبت ووفقت ، أقم مكانك . ومن المؤكد ان الخليفة كان يدرك جيداً أهمية موقع البصرة الحربي ، لهذا قال لعتبة بن غزوان حين ارسله الى البصرة : " قد فتح الله على اخوانكم الحيرة وما حولها وقتل عظيم من عظمائها ولست أمن ان يمدهم اخوانهم من أهل فارس ،

---

[3] ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 133 . الاشعب : المصدر نفسه ، ج5 / 163 .

[4] العميد : طاهر مظفر ، العمارة العسكرية ، حضارة العراق (بغداد ، 1985م) ج187/7 .

[5] الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 579 . العميد : المصدر السابق ، ج7 / 186 .

[6] ينظر البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت 279هـ) فتوح البلدان ، (مطبعة السعادة، مصر، 1959م) ص 275 . المشهداني : لطيف ماجد ابراهيم ، الفكر الحضري عند العرب المسلمين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد ، 1995 م) ، ص191 .

[1] تاريخ الرسل والملوك ، ج3 / 593 . ياقوت الحموي : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ) معجم البلدان ، (دار صادر ، بيروت ، 1957م) ج1 / 431 .

فاني اريد ان اوجهك الى ارض الهند لتمنع اهل تلك الجيزة من امـــداد اخـــوانهم علـــى اخوانكم وتقاتلهم لعل الله يفتح عليكم " [2].

فرق عتبة بن غزوان اصحابه ونزل الخريبة ، وكتب الى الخليفة عمـــر (رضي الله عنه) يعلمه نزوله واصحابه حيث ينزلون ، فكتب اليه عمر (رضي الله عنه) يأمره ان ينزلهم موضـــعاً قريباً من الماء والمرعى [3] ، وان يكتب اليه بصفته فكتب عتبة الى عمر (رضي الله عنه) : " اني وجدت ارضاً كثيرة القضه * في طرف البر الى الريف، دونها منافع ، فيها ماء ، وفيها قصباء : [4] فلما وصلت رسالة عتبة الى الخليفة عمر قال : " هذه ارض بصرة قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب " [5] ، فنزلها القائد عتبة بن غزوان سنة (14هـــ/ 626م) وضرب بها الخيام والقباب والفساطيط والاكواخ المبنية من القصب ، ولم يكن لهم بناء[1]، لتكون قاعدة انطلاق حيث يمكنهم اخلائها بسهولة [2].

---

[2] الطبري : المصدر نفسه ، ج3 / 592 .

[3] البلاذري : فتوح البلدان ، ص 336 . ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد (ت فـــي القـــرن الثالـــث الهجري) مختصر كتاب البلدان ، (ليدن ، 1914م) ص 188 .

* القضه : الحجارة المتجمعة المتشققة . ينظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 / 432 .

[4] ياقوت الحموي : المصدر نفسه ، ص 432 .

[5] ياقوت الحموي : المصدر نفسه ، ص 432 .

[1] الطبري : المصدر السابق ، ج5 / 593 . ياقوت الحموي : المصدر نفسه ، جـــ1 / 432 .

[2] عبد الرسول ، سليمة ، تمصير المدن الاسلامية في القرن الأول الهجري ، المجلة التاريخية ، العدد 2 (بغداد ، 1972م) ص 209 .

المبحث الثاني

تسمية البصرة وسنة تمصيرها

أختلف الباحثون في معنى اسم البصرة او كلمة البصرة ، ففي اللغة هي : " الحجارة الرخوة التي تضرب الى البياض " [1]، وقيل في البصرة ثلاث لغات ، " تبصرة، تبصير ، بصيرة ، والبصرة ارض كأنها ارض من جص وهي التي بنيت بالمربد" [2] ، والبصرة بالضم الارض الحمراء الطيبة الأثر القليل من اللبن[3] ، وقيل البصرة الارض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب لغلظها وشدتها ، وقيل ان المسلمين حيث نزلوا فيها نظروا اليها من بعيد وابصروا الحصى عليها قالوا : ان هذه ارض بصرة [4] .

ومما تقدم يتضح بأن التسمية مستمدة من طبيعة الأرض وتربتها ، فقد قيل انها سميت بالبصرة ، لان فيها حجارة صلبة وهي البصرة ، وذكر بعض المضاربة ان البصرة الطين العلك وقيل الأرض الطيبة الحمراء [5] ، او الارض الغليظة الرخوة الضاربة الى البياض او فيها بياض [6].

أما المؤرخون فيذكرون بأن العرب لهم معرفة بهذه الأرض قبل استقرارهم بها ، فيروى ان القائد عتبة بن غزوان عندما مر بموضع المربد ، فوجد الكذان* الغليظ فقال : "

---

[1] البكري : ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، (القاهرة ، 1949م) ج1 / 254 . الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت 666هـ) مختار الصحاح (دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1981م) ص 54 .

[2] ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ) لسان العرب (دار صادر ، بيروت ، 1956 م) م4 / 67 .

[3] الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب (ت 817هـ) القاموس المحيط (المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1954م) م1 / 280 .

[4] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 / 430 .

[5] ياقوت الحموي : المصدر نفسه ، ج1 / 430 .

[6] ابن منظور : المصدر السابق ، م4 / 67 .

* الكذان : وهي الحجارة التي ليست بصلبه ، كانت ببقعتها عند اختطاطها. ينظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 / 430 .

هذه البصرة انزلوها بسم الله " [1]. اما البلاذري فيقول في ذلك : " وكانت ذات حصى وحجارة سود فقيل انها بصرة وقيل انهم سموها بصرة لرخاوة ارضها " [2]. اما الطبري فيقول : " والبصرة فيها حجارة بيض خشن " [3] . وابن الفقيه يقول : " البصرة الحجارة الرخوة تضرب الى البياض " [4] . ويظهر أن اسم المدينة مشتق من الارض وصخورها التي ترد مرة بمعنى الارض الرخوة أو الارض الغليظة الرخوة الضاربة للبياض ، ومن الطبيعي أن تكون ارض البصرة كذلك لوقوعها في نهاية السهل الرسوبي المحاذي لحافة الهضبة الصحراوية ، والطمى الرسوبية ، فتصبح الارض رخوة بين غليظ وحصو تضرب الى البياض ، وما زالت ارض البصرة تحمل هذه الصفات [5] .

أما المستشرقون فقد تنوعت آراؤهم حول التفاسير التي قدمها اللغويون والبلدانيون والمؤرخون العرب ، حسب قناعتهم ، فمنهم من اعاد البصرة الى اسماء مشتقة عن الفارسية كما يقول الاصبهاني سمعت مدبذ بن سوهست يقول : " البصرة تعريب بس راه، لأنها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها الى اماكن مختلفة " [6] ، وهذا التأويل ضعيف ولا يعول عليه ولم يشر اليه أحد من اللغويين السابقين ، لذلك لا يمكن الاعتماد عليه لأن البصرة اساساً أنشئت لغرض عسكري ، لذلك فأن القرائن التاريخية لا تدعمه ، اذ أنها انشئت معسكر للجيوش العربية الاسلامية ومركز امداد عسكري لدعم تلك الجيوش اثناء تقدمها في سبيل نشر الدين الاسلامي بفتح بلاد فارس وما تلاها من البلدان ، وأن اصل كلمة البصرة عربية ولا يختلف اثنان من المصادر على ذلك [1] .

أن البصرة هي اولى المدن الاسلامية التي مصرت خارج الجزيرة العربية ، ويتفق الكثير من المؤرخين القدامى على أن عتبة بن غزوان هو الذي اسس مدينة البصرة

---

[1] ابن قتيبة : المصدر السابق ، ج2 / 217 . الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 594 .

[2] فتوح البلدان ، ص 336 .

[3] تاريخ الرسل والملوك ، ج3 / 594 .

[4] مختصر كتاب البلدان ، ص187 .

[5] الموسوي: مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاسلامية ، (دار الرشيد ، بغداد ، 1982) ص69 – 70 . المشهداني : المصدر السابق ، ص185 .

[6] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 1 / 431 .

[1] العميد : طاهر مظفر ، تخطيط المدن العربية الاسلامية (بغداد ، 1986م) ص219 .

[2] غير أن هناك اختلاف في سنة تمصيرها ، الأ ان الاغلبية المطلقة من الرواة الموثوقين برأيه يورد أن البصرة مصرت سنة 14هـ حين امر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قائده عتبة بن غزوان بنزولها بمن معه من الناس[3]. اما البعض الاخر من المؤرخين فيذكر أنها مصرت في سنة 15هـ [4] . في حين يورد ابن خلدون أنها مصرت سنة 16هـ [5] . ويبدو أن البصرة اختطت سنة 14هـ ، ومصرت سنة 15هـ أو 16هـ .

أقبل القائد عتبة بن غزوان مدينة البصرة مع عدد من افراد قواته والتي قدرت بحوالي ثلاثمائة وبضعة عشر رجل [6] وانضم اليه قوم من الاعراب واهل البوادي ومنهم (سويد بن قطبه) وفيمن معه من بكر بن وائل وتميم فأصبحوا خمسمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً فنزلها في شهر ربيع الاول سنة 14هـ [1] ويذكر البلاذري [2] أن عدد من صاحب عتبة بن غزوان ثمانمائة رجل ، ومهما يكن من شيء فأن القوات التي رافقته كانت قليلة نسبياً [3] .

ولما نزل القائد عتبة بن غزوان البصرة أقام فيها نحو شهر فخرج اليه اهل الابلة وكان بها خمسمائة من الاساورة الفرس يحمونها حيث كانت مرفأ السفن من الصين فقاتلهم حتى تم تحرير المدينة وذلك في رجب أو شعبان من سنة 14هـ [4] ، ولما فرغ

---

[2] ينظر البلاذري : المصدر السابق ، ص357 . الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 593 . المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت ، 1971م) ج2 / 228 . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 / 432 . الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت ، 1987م) ج2/ 129 .

[3] الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 593 .

[4] المسعودي : المصدر السابق ، ج2 / 228 .

[5] عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون (مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979م) ج2 / 540 .

[6] ابن قتيبة : المصدر السابق ، ج2 / 218 .

[1] الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 591 .

[2] فتوح البلدان ، ص358 .

[3] العلي : صالح احمد ، خطط البصرة ومنطقتها (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1986م) ص45.

[4] الطبري : المصدر السابق ، ج3 / 595 .

عتبة من تحرير الابلة كتب الى الخليفة عمر (رضي الله عنه) يستأذنه في تمصير البصرة وقال : " لا بد للمسلمين من منزل اذا شتى شتوا فيه ، واذا رجعوا من غزوهم لجاؤ اليه " [5] فكتب اليه بنزولها ، لهذا بدأ تخطيط المدينة.

المبحث الثالث

المؤسسات الثقافية في مدينة البصرة

تعتبر البصرة من المدن العربية الاسلامية الثقافية في صدر الاسلام ، وقد أريد لهذه المدينة أن تكون مدينة استراتيجية وقاعدة للجيوش العربية للجناح الشرقي للامة العربية الأ أن خصائص ومميزات هذه المدينة قد جعلت منها مركز جذب واستقطاب لكثير من العلماء مما جعلها تحتل مكاناً بارزاً في التراث العربي والاسلامي والعالمي ، وهذه الحياة الثقافية لها انعكاس حقيقي على الاوضاع السياسية والاجتماعية ، فقد كانت التيارات المتصارعة السبب الرئيس في البطئ الذي اصاب العرب وكذلك كان سبباً رئيساً من الانتقال الى الحياة العصرية الناضجة .

لقد تبين أن التطور الاجتماعي لم يكن متساوياً في كل الاحوال ، فصورة البصرة التي مزقتها الخلافات السياسية والقبلية ، والتي تمثل جوهرها قبضة الحياة التقليدية البدوية على حياة المدينة ، وشدها الى الوراء لمدة طويلة من الزمن ، وفي المجال الثقافي كان بعث الشعر الجاهلي وتأثيره العميق على الشعراء ابرز حركات ثقافية اخرى انتهت بتحويل البصرة من الواجهة التي كانت عليها وهي الصبغة الدينية والادبية والفلسفية ، فالبصرة لم تحظ من صحابة رسول الله (ﷺ) بغير عتبة بن غزوان [1] ، ولعل هذا السبب يعزى الى فقدان البصرة لأي قيادة دينية فعالة تنير للناس طريقهم وتوجههم لمواجهة الازمات الكثيرة التي تعرضت لها المدينة .

ولعل تعليم القران الكريم الذي بدأ بولاية أبي موسى الاشعري والتي امتدت من عام 17هـ الى عام 29هـ ، حيث كان اجتماع كل هذه القبائل في مكان حضري واحد تجربة مثيرة بما تنطوي عليه احتمالات الصدام والشقاق بين هذه الجماعات المتنافرة ، والواقع أن حدة النزاع قد بدأت ترتفع قبل وصول ابي موسى الاشعري الى المصر . كما

---

[5] ينظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 / 432 – 433 .

[1] ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص166 .

يفهم من الكلمات التي ذكرها الخليفة عمر (ﷺ) لأبي موسى الاشعري وهو يعينه والياً على البصرة قائلاً : " اني ابعثك الى أرض قد باض الشيطان بها وفرخ فالزم ما تعرف ولا تستبدل فيستبدل الله بك " [1] .

يعتبر تعليم القران الكريم والذي بدأ في وقت مبكر هو من أهم اوجه النشاط الثقافي بالبصرة ، وقد أخذت هذه الحركة تزداد بازدياد تطور المصر ، وقد بلغ عدد القراء حوالي الثلاثمائة قبل أن يغادر أبو موسى [2] . وكان من اشهر قراء البصرة هو الحسن البصري (ت 110هـ) وابو عمرو بن العلاء (ت 154هـ) ويحيى بن المبارك (ت 202هـ) ويعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمي (ت 205) [3] .

لقد كثرت بعد ذلك الدراسات القرانية الخاصة بالقران واعرابه وناسخة ومنسوخة وتأويله وتفسيره ، واما الحديث فأن للبصرة جهداً لا يقل عن جهد علمائها في الدراسات القرانية وتوجيهها في هذا المضمار ، فقد قام المحدثون بوضع ابوابه وشرحه ، واختصوا وجمعوا بين دراسة الحديث ودراسة القران والدراسات اللغوية والنحوية حتى كثرت التصانيف وكثر الطلاب وتوسعت حلقات الدراسة في هذا المصر [4] .

لقد كان للعلماء نشاط بارز في العطاء العلمي الذي كان له المكانة المتميزة في الفكر العربي الاسلامي ، فقد اشتهر عدد كبير منهم (أبو الاسود الدؤلي ت 69هـ) ، اذ قال القفطي [5] : " وروي عن ابي الاسود ، قال : دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ﷺ) فأخرج لي رقعة فيها ، الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، قلت : ما دعاك الى هذا ؟ قال : رأيت فساداً في كلام بعض اهلي ، فأحببت أن ارسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ ، فأخذ ابو الاسود النحو عن علي (ﷺ) ولم يظهره لأحد".

---

[1] الطبري : المصدر السابق ، ج4 / 70 .

[2] الجاحظ : أبو عمرو بن بحر (ت 255هـ) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، (ط . مصر ، 1985م) ، ج1 / 306 .

[3] سزكين : فؤاد ، تراث الاسلام ، (حلب ، 1977م) ج1 / 58 .

[4] سزكين : المصدر نفسه ، ج1 / 64 .

[5] جمال الدين ابو الحسن علي (ت 646هـ) انباه الرواة على انباء النحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل (القاهرة ، 1950م) ، ج1 / 5 .

لم ينحصر اسهام علماء البصرة على العطاء في المجالات الانسانية والعلمية فقط، وأنما في مجالات شتى ، فقد اشار الحريري في مقاماته المشهورة مخاطباً اهالي البصرة قائلاً : " يا اهل البصرة بلدكم أوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة واوسعها دجلة واكثرها نهراً ونخل ..... منكم من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر الا ولكم فيه اليد الطولى والقدم المعلى " [1] .

لقد قطعت البصرة شوطاً بعيداً في الحضارة والرقي نبغ فيها عدد كبير من فحول العلماء وفقهائهم واشتهر منهم على الخصوص أئمة المعتزلة ، كما اشتهرت البصرة بفكرها المعتزلي ، وكان لعلماء الكلام فيها الفضل الكبير على صعيد الاراء والمناقشات . ومنهم العالم والفيلسوف الكندي (ت 252هـ) الذي عرض اراء فلسفية في مسائل تتعلق بالله والعالم .

وقد وجدت في مدينة البصرة عدد من المراكز الفكرية منها المسجد الجامع والمربد والمجالس الادبية والشعرية ، وقد لا تعدو الحقيقة إذا ما قلنا بأن قسماً منها ، وخاصة المساجد ، كانت تؤدي ادواراً ثقافية إضافةً لأهميتها الدينية .

1- المسجد الجامع :

كان للمساجد الاثر الكبير في نشاط الحركة الثقافية الاسلامية والتي اضاءت الارض بهديها وتعاليمها ، فقد نشطت في توحيد الصفوف وتكاتف القوى ، والمسجد الجامع في البصرة كان على رأس المراكز الثقافية ، فلم يكن مقصوراً على اداء فريضة الصلاة والصلاة الجامعة وأنما بدأت الحياة العلمية تدب فيه ، عن طريق اقامة الحلقات العلمية بعد كل فريضة من فرائض الصلاة لنشر العلم والثقافة ، فكانت هناك حلقة ابن عباس خاصة في مسائل القران الكريم وتفسيره ، وحلقة الحسن البصري ، والتي اهتمت كذلك في تفسير القران والحديث ، والفراهيدي (ت 175هـ) والاصمعي (ت 216هـ) وابن حبيب (ت 245هـ) فكانت هذه من اكثر الحلقات الثقافية ازدهاراً [1] .

---

[1] الشويشي : شرح مقامات الحريري ، تحقيق مجمد ابو الفضل (القاهرة ، د. ت) ج5 / 344 .

[1] ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت 230هـ) الطبقات الكبرى (دار صادر ، بيروت ، 1968م) ج1 / 28 .

قال ابو الفرج الاصفهاني [2]: " أن محمد بن بشير كان ذات يوم حاضراً في حلقة اللغوي النحوي المعروف بالرياشي (ت 257هـ) في جامع البصرة ، وكان الى جوار حلقته هذه لجماعة من اهل الجدل وكانوا يتصايحون ويتجادلون في المقالات والحجج " .

2- المربد

تميزت البصرة بوجود مركز ثقافي أخر لا يقل اهمية في نشر العلم والمعرفة والثقافة عن المسجد الجامع ، ذلك الموضع الذي تطور ليكون سمة البصرة التي صارت تعرف به لشهرته ، أنه سوق المربد .

قال ابن سلام [3] : " قال الاصمعي : المربد كل شيء حبست به الابل ، ولهذا قيل مربد النعم الذي بالمدينة ، وبه سمي مربد البصرة ، انما كان موضع سوق الابل وكذلك كل ما كان من غير هذه المواضع ايضاً انه اذا حبست به الابل فهو مربد " .

وقال القلقشندي [4] : " وبالبصرة محلة يقال لها المربد ، بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة وهي محلة عظيمة من جهة البرية كانت العرب تجتمع فيها من الاقطار ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون " .

والمربد كبقية اسواق العرب قبل الاسلام ، حيث كانت الاسواق العربية مركزاً تلتقي فيه معظم القبائل العربية ، سواء كانت للتجارة أو لنشر التراث الفكري لتلك القبائل، ومنتجع للشعراء والخطباء يتفاخرون بقبائلهم وانسابهم ، فقد ذكره الجارود حيث كان يجمع فيه بين ربيعه ومضر ، حيث يقول لهم عليكم بالمربد فأنه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخير ويجمع بكم [1] .

قال ابو الفرج الاصفهاني [2] : " وكان لراعي الابل النميري (ت 90هـ) والفرزدق (ت 110هـ) وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها ".

---

[2] علي بن الحسين (ت 356هـ) الاغاني ، تحقيق سمير جابر (دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، د. ت) ج2 / 138 .

[3] ابو عبيد (ت 224هـ) غريب الحديث ، تحقيق محمد عبد المعيد خان (دار الكتاب العربي ، بيروت) ج1 / 247 .

[4] القلقشندي : أبو العباس احمد بن علي (ت 821هـ) صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م)

[1] ابن سعد : المصدر السابق ، ج1 / 20 .

[2] الاغاني : ج8 / 33 .

وقال ايضاً : " وكان الناس يحضرون المربد ويتناشدون الاشعار ويتحادثون ساعة" [3] .

3- المجالس الادبية والشعرية

للمجالس أثر كبير في التعليم ، والتعليم في جميع المدن الاسلامية يكون على نوعين التعليم العام والتعليم الخاص ، فالتعليم العام يشمل جميع طبقات المجتمع الاسلامي، اما التعليم الخاص وهو تعليم اولاد الملوك والامراء والقادة وغيرهم ، لقد ادت المجالس الادبية والشعرية دوراً في توسيع دائرة الثقافة والادب في البصرة ، فكانت هذه المجالس تضم كثيراً من القراء والمفسرين والادباء والنحاة .

لقد صارت هذه المجالس مراكز اشعاع ثقافي كبير ، حيث كانت المساجلات والمناقشات تجري فيها بين الشعراء اهل اللغة والنحو ، فقد ذكر الزجاجي [1] : أن بلال بن أبي بردة الذي كان والياً على البصرة سنة عشرة ومائة للهجرة ، عرف بحبه لعقد المجالس الادبية .

كما ارتاد الادباء والشعراء واللغويين والنحويين ، أمثال الأخفش والاصمعي هذا المربد ، وقيل أن والي البصرة كان يلحن فنصحه الاخفش الاكبر ، وشكره الوالي على هذه النصيحة قائلاً : " قد نصحت ونبهت فجزيت خيراً [2] ".

وكانت دار أبي عمرو (ت 154هـ) أحد القراء السبعة المعروفين ، كان نحوياً له عدة أراء في اللغة والنحو وكانت داره من المجالس العلمية المشهورة في البصرة ، وقد التقى بها العديد من الادباء والمحبين لجميع العلوم وكذلك مجموعة من المفكرين والفلاسفة [3] ، وكان هناك الكثير من هذه المجالس في البصرة .

---

[3] المصدر نفسه ، ج22 / 262 .

[1] عبد الرحمن بن اسحاق (ت 339هـ) مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام هارون (الكويت ، 1962م) ص243 .

[2] الزجاجي : المصدر نفسه ، ص 54 .

[3] الزجاجي : المصدر نفسه ، ص1 .

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر .

1- البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا (ط . القاهرة ، 1949م) .

2- البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت 279هـ) فتوح البلدان (مطبعة السعادة ، مصر ، 1959م) .

3- الجاحظ : أبو عمرو بن بحر (ت 255هـ) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون (ط . مصر ، 1985م) .

4- ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن (ت 597هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق سهيل زكار (ط . بيروت ، د. ت) .

5- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ) تاريخ ابن خلدون ، (مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979م) .

6- الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد (ت 748هـ) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (ط . بيروت ، 1987م) .

7- الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت 666هـ) مختار الصحاح (دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1981م) .

8- الزجاجي : عبد الرحمن بن اسحاق (ت 339هـ) مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام هارون (ط . الكويت ، 1962م) .

9- ابن سعد : محمد بن منيع (ت 230هـ) الطبقات الكبرى (دار صادر ، بيروت ، 1968م) .

10- ابن سلام : أبو عبيد (ت 224هـ) غريب الحديث ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، (دار الكتاب العربي ، بيروت) .

11- الشويشي : شرح مقامات الحريري ، تحقيق محمد أبو الفضل (القاهرة ، د . ت).

12- الطبري : محمد بن جرير (ت 310هـ) تاريخ الرسل والملوك (ط . القاهرة ، 1963م) .

13- ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ) فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر (لجنة البيان العربي ، 1977م) .

14- أبو الفرج الاصفهاني : علي بن الحسين (ت 356هـ) الاغاني ، تحقيق سمير جابر ، ط2 (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) .
15- ابن الفقيه : احمد بن محمد (ت في القرن الثالث الهجري) مختصر كتاب البلدان (ليدن ، 1914م) .
16- الفيروز أبادي : محمد بن يعقوب (ت 817هـ) القاموس المحيط (المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1954م) .
17- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) عيون الاخبار ، (ط . دار الكتب المصرية ، 1925م) .
18- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت 283هـ) اثار البلاد واخبار العباد (دار صادر ، بيروت ، 1960م) .
19- القفطي : ابو الحسن علي (ت 646هـ) (انباه الرواة على انباء النحاة) تحقيق محمد ابو الفضل (ط . القاهرة ، 1950م) .
20- القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (ت 821هـ) صبح الاعشى في صناعة الانشا (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م) .
21- المسعودي : علي بن الحسين (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط . بيروت ، 1971م) .
22- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين (ت 711هـ) لسان العرب (دار صادر ، بيروت ، 1956م) .
23- ياقوت الحموي : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ) معجم البلدان (دار صادر ، بيروت ، 1957م) .
24- اليعقوبي : احمد بن علي يعقوب (ت 284هـ) البلدان ، (ط . ليدن ، 1892م)

ب- المراجع

1- الاشعب : خالص ، المدينة والتحضر (بغداد ، 1985م) .
2- سزكين : فؤاد ، تراث الاسلام (حلب ، 1977م) .
3- عبد الرسول : سليمة ، تمصير المدن الاسلامية في القرن الاول الهجري ، المجلة التاريخية ، العدد 2 (بغداد ، 1972م) .
4- المشهداني : لطيف ماجد ،الفكر الحضري عند العرب المسلمين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (بغداد ، 1995م) .

5- العلي : صالح احمد ، الأمصار الإسلامية في العراق (بغداد ، 1988م) .
6- العميد : طاهر مظفر ، تخطيط المدن العربية الإسلامية (بغداد ، 1976م) .
7- ـــــــــ : العمارة العسكرية ، حضارة العراق (بغداد ، 1985م) .
8- الموسوي : مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاســـلامية ، (دار الرشيد ، بغداد ، 1982م) .